الخبير البريطاني الفرد هاليداي

اليمن الجنوبي.. الثورة والسياسة الخارجية 1967 - 1987م

في اشكالية العلاقة بين الشعوب المتخلفة وتاريخها، فإن عملية كتابة هذا التاريخ تعاني من افقار في حفظ المرجعيات. بل هي تذهب بما تجري بينها من صراعات وتناحرات حول السلطة، لتشكل صرامة الغاء المغاير جزءاً من إعادة بناء المشهد السياسي حسب أهواء النوع المتسيد على السلطة.

نجمي عبدالمجيد

ذلك ما يترك عبر حقب من الأزمنة فراغاً في وعي الذاكرة وبكيفية قراءة هوية الأمة، حيث مازالت خاصية الانتماء لمفردات التقسيم والتجزئة في مجتمعات لم يشكل عندها الاستقلال إلا الدخول في أزمات هدمت الحلم الوطني في بناء الدولة التي تحولت إلى حدود محاصرة وتجارب صدامية، بل تملكها حق الشرعية الجبرية والحكم المطلق الذي كون في كيانها عجز الرؤية نحو عدة قضايا في صناعة مصيرها.

حين يكتب تاريخك من طرف نظر إليه في السابق عند درجة العدوان والاعتداء حتى لو جاء إلى هنا من منطلق الفكر الموضوعي في معرفة أبعاد الحدث مما يجب علينا ادراكه في التعامل السياسي البريطاني مع الجنوبي.. ملفات لم تغلق حتى الآن بل بما كان في نوعية التاريخ البريطاني في الجنوب العربي وحتى بعد ظهور اليمن الجنوبي لم تغفل أدوات التعامل والرصد في لندن هذا الموقع الجنوبي من خارطة مستعمرتها في العالم. وليس هذا الكتاب لمن ينظر في خلفيات السياق الأيديولوجي فيه إلا تتبعا بريطانيا لمن حكم الجنوب بعد عام 1967م وكيف تحولت الدولة الجنوبية من وضع البناء إلى مربعات الصراعات الداخلية والاقليمية والدولية حتى آلت بها الحالة إلى السقوط النهائي وكأن الاستقلال في الجنوب كان مجرد منحة بريطانية لعقول قاصرة لم تعرف عن قضايا صناعة الدولة وقيادتها إلا الحسم المسلح، وفي هذا تكوّن واقع العلاقة المأزوم في الجنوب بين مفهوم الحكم وعقليات من تدير مقاليد السلطة.

ترجم هذا الكتاب الدكتور عدنان سعيد ثابت عبدالصفي ونصر محمد أحمد شيخ ومراجعة الدكتور وهيب سالم السعدي، وصدر عن مركز عدن للدراسات التاريخية الطبعة الأولى عام 2024م.

مما يطرحه الكاتب في هذا المؤلف التحليلي لسياسة الدولة الجنوبية بعد 1967م وهي مازالت في طور التكوين والمراهقة السياسية والتي دائماً ما تقوم على الحماس والشطحات غير المحسوبة الخالقة لمسافات من التقاطع مع المحيط والامتداد الأفقي للقوى الكبرى في العالم.

عند هذا الارتكاء من هذا يقول: (1 ـ الالتزام بدعم حركات مشابهة في الميول والفكر في دول اخرى غالباً ما تكون مجاورة والصعوبات التي يصادفها التزام كهذا.

2 ـ التأثيرات على السياسة الخارجية للفئات الحزبية في اطار الدولة الثورية وعلى العكس من ذلك تأثير القوى الخارجية على السياسة والبنية الاقتصادية للدولة.

3 ـ البحث عن حلفاء استراتيجيين لضمان بقاء الدولة الثورية والقضايا المتعلقة بالحكم الذاتي والتشاورات التي تضعها مثل هذه التحالفات.

4 ـ الطريقة التي تحقق بها الدولة الثورية، على مدى فترة زمنية أطول، توازن رغبتها في الحفاظ على علاقات مفيدة مع الدول الاخرى بما في ذلك الدول المحافظة تماماً والالتزام بدعم التغيير على نطاق دولي).

كيف نعيد قراءة تاريخنا السياسي؟

الفكر الاستراتيجي لأي دولة إن لم يكن له بُعد نظر يتحول إلى أزمات في المراحل القادمة

الكاتب يوضح لنا كيفية صناعة العلاقات الخارجية للدولة الجنوبية التي حُصرت عند زوايا معينة

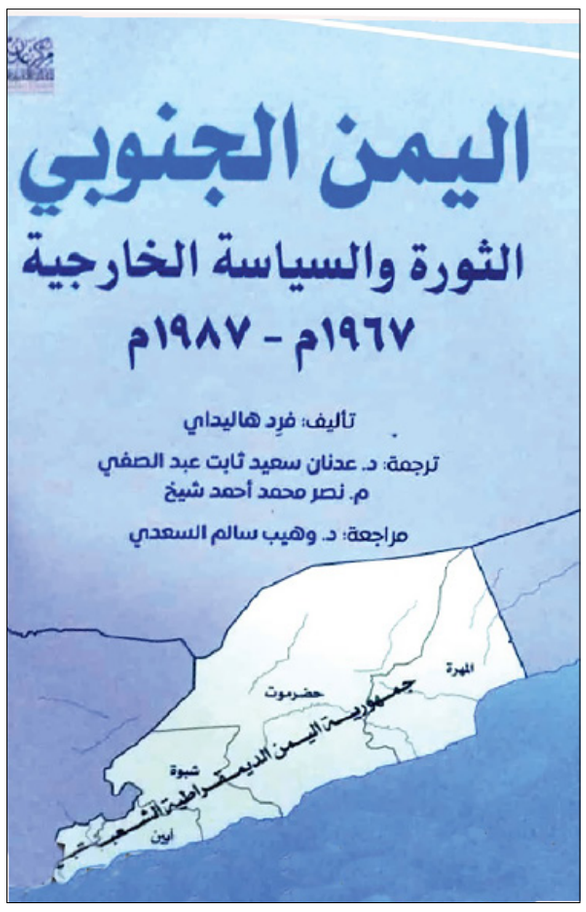

هناك جوانب غامضة من هذا التاريخ لم نصل بعد إلى وثائقها المجهولة

المجتمع الإقليمي والدولي هل يحاسب الجنوب في الراهن على تجاوزات الماضي؟!

من المحاور التي دار عليها الاختلاف هو المحيط الهندي الذي اصبح منذ عام 1968م من مواقع التصارع بين أمريكا وروسيا، وكان وضع الدولة الجنوبية حشد المعارضة في أكثر من مرة ضد انتشار القوات البحرية والجوية الأمريكية، حيث كان ينظر لدولة الجنوب من موقع التحدي للوجود الأمريكي، وكذلك محور الخلاف الآخر حول القرن الأفريقي حيث قدمت دولة الجنوب عام 1974م دعماً للصومال وارتيريا ضد الحكم في اثيوبيا الموالي لأمريكا.

بعد عام 1974م دعمت عدن بشك كبير النظام العسكري الثوري في أديس ابابا الذي كان في مواجهات مسلحة مع الصومال حيث كان يقف مع أمريكا في تلك الحقبة.

وبفعل كل هذه القضايا والأحداث اصبحت العلاقة مع أمريكا معادية لسنوات عديدة.

لم تدرك عقليات الدولة الجنوبية ان كل هذه التصادمات مع أمريكا قد اضعفت الحوار السياسي بينهما إلى أقصى الحدود، مما خلق تنافراً في المسافات لم تعد فيها عقليات رجل الدولة الجنوبي في إعادة بناء الثقة نحو المحور الأمريكي خاصة والغربي عامة.

وهو ما انعكس على الجنوب بعد ذلك في حرب 1994م حين سعى الجنوب لفتح قنوات اتصال مع أمريكا، كان عند درجة الصفر وهو ما وضعه في المستوى الاضعف مقابل الطرف اليمني الذي له رصيد واسع من العلاقات مع الغرب في مختلف المجالات مما اسقط الاعتراف بعودة الدولة الجنوبية التي كانت تحسب في اطار الطرف المعادي لأمريكا.

الفكر الاستراتيجي لأي دولة إن لم يكن له بعد نظر يتحول إلى أزمات في المراحل القادمة. ومما يطرحه الفرد هاليداي حول سياسة الدولة الجنوبية قضية تأزم العَلاقات مع محيطها الذي اسقط التسوية وأضاع حلولها، التحول نحو موقف ثوري واجتماعي أكثر تشددا وإلى تغيير في جزيرة العرب عبر قلب الأوضاع، وفي عام 1968م عبدالفتاح إسماعيل على دور الدولة الجنوبية في دعم الثورة في الجزيرة العربية ضد الأنظمة التقليدية ، كما أكد الرئيس قحطان الشعبي دعم بلاده لقوى المعارضة في اليمن وعمان وفلسطين، وكانت الرؤية النضالية حينها تهدف إلى تصديرها نحو تحرير الخليج العربي من النفوذ الغربي وإقامة علاقات عملية مع القوى السياسية ذات التوجه التقدمي وزرع اعتقاد بأن الثورة في الجنوب تظل في خطر طالما بقيت جيوب الاستعمار عند مناطق اتصال الحدود وما بين البحر والبر في منطقة الخليج، وهي ذات مصالح حيوية للغرب حاول الاتحاد السوفيتي الوصول إليها عبر التوجه التقدمي القائم في الجنوب.

يوضح لنا الكاتب في هذه الأطروحات بوضع دولة الجنوب في خط المواجهات مع اليمن والسعودية وسلطنة عمان، وهي صاحبة علاقات مع الغرب وأمريكا تعد القوى المركزية في هذا التحالف الذي ينظر لوضع الدولة الجنوبية في مركزية العداء، وصلة هذه الدولة بالمنظمة الاشتراكية، نرى في هذا الارتباط قوة صلة مع مشاريع حركات التحرر الناشطة عبر الأعمال المسلحة على اراض تعد من محاور التواصل الجغرافي مع الجنوب. وهو ما يمكن أن نرى فيه حاضرا من مواقف تعيد رسم جغرافيا الأزمات السابقة على أزمات الحاضر. من الملاحظ أن سياسة القوى الاشتراكية قد رسمت عبر المحاور الثلاثة: عمان والسعودية واليمن، وهي عمق الامتداد البري مع الجنوب، عوامل الانطلاق نحو مراكز النفط والغاز، خط النفوذ الغربي. ولا نغفل هنا دور شاه إيران في صد تحرك القوات الجنوبية نحو عما،ن وكان الشاه قد أرسل قواته إلى عمان كي يحد من تحركات القوات الجنوبية والجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي. ومنذ عام 1973م نشرت إيران قواتها وطائراتها على مقربة من الحدود الجنوبية، وقد أسقطت في نوفمبر 1976م طائرة حربية إيرانية من قبل الدفاعات الجوية الجنوبية.

في هذا الكتاب الكثير من القضايا التي ما زالت لها من الركائز المحددة لجغرافية الجنوب السياسية؛ لأن دور الاحداث والمرجعيات يظل في دائرة الحوار والمصالح وكما يبدو ان الجنوب في تلك الحقبة قد دخل ضمن لعبة التوازنات الدولي كأمر واقع ولم يترك لمن هم اصحاب المقدرة الفكرية في قيادة الأمور بل تم ممارسة سياسة قمع الرأي الآخر وتغييب شكل الاعتراض.

نحن في مسافة تاريخية غير ما كانت عليه في وقت حدوثها، وهو ما يعطي لنا نوعية من القراءة تغاير ما فرض على الوعي الجنوبي في حلقات الماضي. وهذا ما تفرضه الرؤية السياسية على إعادة صياغة المشهد وفي هذا نخلق في وعي التاريخ لدينا امكانية صناعة بعد النظر نحو المستقبل، وهو ما تقدم عليه الشعوب المدركة لدور التاريخ في العمل السياسي.

ان نظرنا من منطلق واقع اليوم في هذه المحاور لوجدنا فيها الطوق الذي وضع الدولة الثورية ـ الجنوبية في مأزق صراعاتها الداخلية في اشكالية علاقاتها الخارجية.

دخول مصطلح (الدولة الثورية) يعني عجز عقليات في التفاعل مع المفاهيم السياسية فهي لم تخرج من حالة الصدام مع الاستعمار البريطاني إلى مشروع بناء الدولة، بل نقلت معها نفس اساليب التعامل العدائية إلى مركز الحكم لتدخل بعدها في واقع حلقات المواجهات المتعددة.

صناعة الاحلاف الخارجية.. حصر الجنوب في هذا الاتجاه نحو الجانب التقدمي ـ الاشتراكي مما ادخل هذه الدولة الوليدة في تحديات المراهنات الدولية الكبرى التي جعلت منها هدفاً في تصفية الحسابات معها في مراحل قادمة، وهو ما يحدث اليوم في حق الجغرافيا والثروة الجنوبية.

كانت سياسة الانتماء نحو البعد الثوري لا تقوم إلا عبر علاقات ثورية وهو ما جعل الدولة الجنوبية بعد عام 1967م لا تصدر سوى لغة العنف الثوري وتقديم الدعم لحركات التحرر وبالذات في المنطقة، مما حولها في نظر العديد من القوى العربية والغربية دولة معتدية على أمن الغير ومتدخلة في الشؤون الخاصة، وهذا جعل من مسافات الحدود البرية مع دول الجوار مشتعلة وعابرة للأزمات.

وهنا تأتي مسألة الجانب الفكري من الوعي السياسي لقادة الجنوب بعد الاستقلال.

حسابات السياسة هنا لم تكن عند القوة الموضوعية للجنوب بل كانت تتبع مركزية المنظمة الاشتراكية والتي لم تكن على خبرة واسعة في أمور هذه المواقع كما أدركتها بريطانيا.

حين يذهب المحور حول عدن وأمريكا يقول الكاتب: (فقد تزامن استقلال اليمن الجنوبي في عام 1967م ومع تحول هام في الوضع الاستراتيجي العام في منطقة غرب آسيا وفي شبه الجزيرة العربية وفي الخليج العربي خاصة، وبالنسبة للانسحاب البريطاني من عدن في نوفمبر 1967م والانسحاب اللاحق من الخليج عام 1971م فقد فتح المجال للولايات المتحدة للعب دور مباشر أكثر أهمية في شؤون شبه الجزيرة العربية فقد كانت شركات النفط الأمريكية موجودة منذ وقت طويل في المملكة العربية والبحرين، وتأكدت علاقات الولايات المتحدة الأمريكية الاستراتيجية مع السعودية التي بدأت خلال الحرب العالمية الثانية وعززها مذهب ايزنهاور لعام 1957م مرة اخرى من خلال دعم واشنطن للرياض خلال الحرب الأهلية اليمنية من أجل التكافؤ مع الوجود المصري في اليمن الشمالي الذي عقب سقوط الأمام. وعلى نقيض بريطانيا كانت الولايات المتحدة قد اعترفت في البداية بالجمهورية في صنعاء إلا ان استمرار الحرب الأهلية وشعور المملكة العربية السعودية بانها قد اصبحت مهددة أكثر فأكثر نتيجة للوجود المصري في الجمهورية العربية اليمنية أدى إلى الحد من علاقات أمريكا مع صنعاء ثم قطعتها الجمهورية العربية اليمنية في 1967م. مع ذلك أدى الانسحاب البريطاني من الخليج، المتعارض مع رغبات الولايات المتحدة الأمريكية كما هي الحال للانسحاب من اليمن الجنوبي إلى زيادة اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بالخليج العربي وإلى تطور استراتيجية أمريكية جديدة أكثر تقدماً، وبموجب هذا أخذت واشنطن على عاتقها المسؤولية الاستراتيجية للمنطقة كلها واصبحت مورداً رئيساً للأسلحة، ليس للحلفاء التقليديين فحسب بل ايضاً لما قد كان يعرف حينها بالدول الخاضعة للهيمنة البريطانية).

كما يبدو ان دولة الجنوب لم تكن تربط معادلات النفوذ الأمريكي في عدن وخليج عدن وجزيرة ميون ومضيق باب المندب مع الرغبة من قبل القوى الكبرى نحو الهيمنة في هذا المكان. دون شك كانت أمريكا تطرح نفسها البديل عن بريطانيا في الجنوب، لكن تشكل الدولة الجنوبية في اطار صراع القوى بين معسكر الغرب ومعسكر الشرق التقدمي جعل من الجنوب في مرصد الخط الهجومي عند كل طرف. قيل عن دولة الجنوب انها كوبا الشرق، بمعنى هي اليد الضاربة للاتحاد السوفيتي ضد مصالح الغرب والدول العربية الدائرة في هذا الفلك.

لذلك لم تغفل أمريكا ما كان يجري في الجنوب ومدى خطورته على دول الجوار من مد فكري لفلسفة الاشتراكية العلمية، ودعم لحركات التحرر بمختلف الوسائل لضرب التوسع الغربي. في الراهن نرى سياسة الانتقام من الجنوب بفعل ما سبق، بل العمل على خلق التشرذم الداخلي فيه حتى لا يعيد ترتيب ذاته في نفس الوضعية السابقة، وهذا الأمر يمكن طرحه في برامج إعادة هيكلة وعي الشعوب التي تنقل من مفارقة إلى اخرى دون ضوابط مدروسة؛ لذلك نجد هذا الاختلال في الجنوب بعد سقوط الاشتراكية في التعامل مع المعسكر الغربي؛ لان الخلفية في هذا الجانب فاقدة للحضور الفاعل.